معجزة القرآن

السـؤال : نرجو من فضيلتكم إلقاء بعض الضوء على آيات الإعجاز فى القرآن ؟

الجـواب : لقد تحدى القرآن العرب بالإعجاز فى اللغة . . طلب أن يأتوا بمثل القرآن . . ثم زاد فى التحدى وقال بسورة من مثله .

ولكن التحدى للعالَم لا يمكن أن يكون باللغة . . فاللغات مختلفة . . إذن بماذا تحداهم ؟ بالعِلم . . وكان التحدى مطلقًا إلى يوم الدين . . قال أنتم جميعًا لن تستطيعوا أن تخلقوا شيئًا حتى نهاية العالم . . ثم تحداهم بخلق ماذا ؟! بخلق كون كالذى خلقه ؟ لا . . بخلق مجموعة شمسية من عشرات المجموعات الشمسية الموجودة فى الكون ؟ لا . . بخلق شمس أو قمر أو نجم ؟ لا . . إذن تحداهم بخلق الكرة الأرضية مثلاً ؟ أبدًا . . لابد أنه تحداهم بخلق الإنسان . . أبدًا .

لقد تحداهم أن يخلقوا ذبابًا . . وكأنه يقول : إننى أنا اللّه أقول لكم سأعطيكم من العلم . . وأريكم آياتى فى الآفاق . . ولكنكم لن تخلقوا ذبابة ولو اجتمع لذلك كل علماء الأرض فى كل العصور . . وهكذا تحدى اللّه البشرية كلها إلى يوم الدين بأن يخلقوا ذبابة . . وقال : إن العلم الذى ستعبدونه من دون اللّه . . والذى ستؤمنون به . . هذا العلم وكل القائمين عليه لن يستطيعوا أن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ﴾ ثم قال سبحانه وتعالى : ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج : ٧٣] وأضاف : ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ [الحج : ٧٤] ، والعجيب أن الإنسان قد وصل إلى القمر . . وقد يصل إلى المريخ . . وقد يستكشف أبعد من ذلك . . ولكنه عاجز عن أن يخلق جناح ذبابة حتى الآن . . وهو طلب ضعيف جدًا بالنسبة

لقدرة اللَّه سبحانه وتعالى فى خلق ملايين الكائنات ولذلك قال اللَّه : ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ .

ثم أضاف سبحانه وتعالى : ﴿ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ أي أن قدرة اللَّه سبحانه وتعالى تفوق كل الحدود والتصورات التى قد ترد على خواطركم وأنتم لا تعرفون قدرة اللَّه .. ثم تحدى اللَّه بعد ذلك فى قرآنه .. تحدى باستمرار الحياة ، الماء الذى خلق منه كل شىء حى .. قال اللَّه تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الواقعة] . وقال تعالى : ﴿ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ﴾ [لقمان : ٣٤] . أي أن اللَّه سبحانه وتعالى هو الذى يرسل إليكم الأمطار .. والماء يأتى مدرارًا ليسقى الدنيا كلها .. البشر والطيور والوحوش والزرع وكل شىء حى .. هذا الماء الذى تعبّ منه البشرية كلها عبًّا .. نجد الإنسان عاجزًا عن أن يصنع نهرًا .. مع أن عناصر تكوين الماء موجودة فى الكون .. أمام العلماء .. والمساحات الشاسعة من الصحارى فى الأرض محتاجة إلى قطرة ماء .

ثم تحدى اللَّه سبحانه وتعالى بعد ذلك .. تحدانا بأن نهرب من الموت .. قال : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء : ٧٨] أي أن اللَّه سبحانه وتعالى يتحدى .. مهما وصلتم إلى العلم .. فلن تستطيعوا أن تنجوا من الموت .. إنكم تقولون فى العلم الأرضى : إن الموت يحدث بسبب جراثيم كذا وأمراض كذا إلى آخره .. حسنًا .. شيدوا برجًا وضعوا فيه إنسانًا .. وأبعدوا عنه كل المخاطر التى فى رأيكم وفى نظركم وفى علمكم تسبب الموت .. فلا هو يحارب ولا يمشى فى أي مكان ليصاب فى حادث فلا يستنشق هواءً ملوثًا بل يستنشق هواءً نقيًا .. ويأكل من طعام مطهو على أحدث الوسائل الصحية .. ويشرب من ماء ليس فيه جرثومة واحدة .. والجو الذى يعيش فيه منقًى إلى آخر درجات العلم .. هنا نكون قد أبعدنا عن هذا الإنسان كل مسببات الموت التى نعرفها .. ومع ذلك هل يمكن أن يكتب لإنسان مثل هذا الخلود رغم أننا منعنا عنه كل الأسباب الظاهرية للموت ؟ الجواب طبعًا مستحيل .. لأن اللَّه هو الذى يحيى ويميت .. والأسباب لا تفعل بنفسها ولكنها تفعل بإرادة اللَّه .

obeikandl.com

ثم تحدى اللَّه العالم كله فى القرآن بخمس مغيبات :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ ﴾ .

تحدى اللَّه بهذه المغيبات - تحدى البشر جميعًا - فكأن القرآن كما تحدى العرب فى اللغة عندما نزل . . حمل تحديات للعالم أجمع . . وقال لهم : إنكم لن تصلوا إلى كذا وكذا إلى آخره . . عشرات التحديات التى ساقها القرآن للبشرية جميعًا . قال لن تصلوا إلى كذا . . لن تفعلوا كذا لن تخلقوا كذا . . وكانت هذه التحديات لكل البشرية ولكل العصور .

obeikandl.com

الرد على المستشرقين

السؤال : **يزعم بعض المستشرقين ومن نحا نحوهم من المستغربين بأن القرآن الكريم فيه آيات تعارض بعضها البعض وضربوا لذلك مثلا بقوله تعالى : ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ وقالوا : كيف يحرم الإسلام الخمر ويذكر فى آخر الآية : ﴿ وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ ولم تحرم الخمر فى الآية الكريمة ؟**

الجواب : المتأمل للأسلوب القرآنى العظيم يجد أنه فى هذه المسألة يراعى ظروف النفس الإنسانية بمعنى : أنه يأخذ التغيير على مراحل ففى البداية يقول القرآن عن الخمر : ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ [النحل : ٦٧] .

ساعة سمع بعض الصحابة هذه الآية قال : واللَّه لكأن اللَّه يدخر للخمر شيئًا . . فهمها بملكة اللغة والفراسة عنده ؛ لأن اللَّه وصف الرزق بالحسن وترك السكر بدون وصف فكأنه ليس حسنًا .

ثم قال الحق سبحانه : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ [البقرة : ٢١٧] .

وهذا الكلام جاء كنصيحة وليس تشريعًا . فبين أن ضرر الخمر والميسر أكبر من نفعهما ، واستمر الناس بعد ذلك يشربون الخمر .

وذات مرة كان واحد من المسلمين يصلى وهو مخمور فأخطأ فى قراءة القرآن وقال : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ ﴾ [الكافرون] . فشكوا ذلك لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ؛ فنزل قول اللَّه تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾ [النساء : ٤٣] .

ومعروف أن الصلاة خمس مرات فى اليوم والليلة ، وحتى يصلى

المسلم لابد أن يكون غير مخمور ، وبذلك قلت فرصة الشراب وطالت مدة الامتناع . وتطويل مدة الامتناع يعطى إلفًا بالترك .

وبعد ذلك إذا حدث شرب من بعض المسلمين كانت تحدث مشاكل ؛ لأن المخمورين يضرب بعضهم بعضًا وتسيل دماؤهم ، وبذلك ضاق الناس من الخمر وذهبوا إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم وسألوه أن يبين لهم فى الخمر بيانًا شافيًا فأنزل اللَّه تعالى قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة : ٩٠] .

فكان علاج الإسلام لهذه العادة السيئة التى تملكت قلوب العرب قبل الإسلام علاجًا تدريجيًا ، فباللَّه عليكم لو نزل القرآن جملة واحدة كما أراد المشركون كيف كان يمكن معالجة مثل هذه العادة السيئة ؟!

فكأن اللَّه سبحانه أراد أن يجعل مشاركة من المنفعل بآيات القرآن والذى يصر على أن ينفذه حتى أن المسلمين كانوا يسألون عن أشياء لم يكن نزل فيها تشريع لأن طبيعتهم الصافية وفطرتهم النقية كانت تدفعهم إلى السؤال عن هذه الأشياء حتى يحتاطوا لأنفسهم من الوقوع فى أقل شبهة .

ولذلك ورد فى القرآن الكريم آيات كثيرة تبين هذه الأسئلة . . يسألونك عن كذا وعن كذا ، ويأتى الرد عليها من الحق سبحانه ، قل : كذا ، وقل : كذا وكذا[1] .

---

(١) ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة : ١٨٩] .
﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ ﴾ [البقرة : ٢١٥] .
﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢١٧] .
﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢١٩] .
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾ [البقرة : ٢١٩] .
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ﴾ [البقرة : ٢٢٠] .
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .
﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾ [المائدة : ٤] .
﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ﴾ [الأعراف : ١٨٧] .
﴿ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأعراف ك ١٨٧] .

=

= ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [الأنفال : ١] .
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء : ٨٥] .
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف : ٨٣] .
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴾ [طه : ١٠٥] .
﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾ [النازعات : ٤٢] .

obeikandl.com

الآيات الشافية فى القرآن

السؤال : ما هى الآيات الشافية فى القرآن الكريم ؟

الجواب : إن هذه الآيات تجتمع فى كل آية فيها كلمة شفاء ، وتقرأ بترتيب المصحف ، فقد قال العلماء : إن فى هذا استعانة بكلام اللّه على الشفاء ، وخصوصًا فى الأمراض التى لا تقدر عليها أسباب البشر . وبالرجوع إلى كتاب اللّه تعالى تجد أن الآيات التى جاءت فيها كلمة شفاء هى :

١ ـ ﴿ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : ١٤]

٢ ـ ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء : ٨٠]

٣ ـ ﴿ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [يونس : ٥٧]

٤ ـ ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [النحل : ٦٩]

٥ ـ ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء : ٨٢]

٦ ـ ﴿ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ [فصلت : ٤٤]

وأسأل اللّه الكريم رب العرش العظيم أن يشفينا جميعًا .

openkanal.com

القرآن .. علاج لأمراض الأمم

السؤال : يقول إن القرآن الكريم فيه علاج لكل مشاكل المجتمعات والأمم ؛ كيف ؟!

الجواب : إنك فى كثير من الأحيان تقاوم منهج اللَّه ؛ لأنه يحد من حركتك فى الحياة التى تعتقد أنك لو تمتعت بالحركة فيها على حساب هواك وما تريده لفسد العالم كله .. والمنهج فى الإسلام مُوحىً به من اللَّه سبحانه وتعالى ، وهو محفوظ من اللَّه ، أى : أن الحق سبحانه وتعالى هو الذى يحفظه ، والقرآن معجزة ، ومنهج الإعجاز فيه أنه ليس للبشر فيه مكان ، فهو كلام اللَّه ، محفوظ من اللَّه سبحانه وتعالى إلى يوم القيامة ، والإعجاز فيه أن يعطى عطاء لكل جيل ، يختلف عن الجيل الذى قبله ، والإعجاز فيه أنه صالح لكل زمان ومكان ، والإعجاز فيه أنه يداوى أمراض المجتمعات أينما كانت .. معنى هذا أن مجرد القول بهذا الكلام يفسر لنا معجزة كبيرة فى القرآن الكريم . فالرسالات جاءت وقد نزلت لتعالج داءات المجتمع ، كل رسالة نزلت إلى قوم تعالج الداءات ، والانحرافات الموجودة فيهم .

openkandil.com

الشفاء المعنوي والعضوي

السؤال : قال تعالى : ﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ وقال أيضًا : ﴿ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ فهل المقصود بذلك الشفاء المعنوى ، أم الشفاء العضوى ؟

الجواب : لا تضيق واسعًا . . إن الجهاز البشرى لا يزال مجهولاً للناس . . لا يعرفون منه إلا الأجهزة الواضحة الظاهرة ، كالجهاز الهضمى مثلاً ، الجهاز التنفسى ، البولى ، التناسلى ، ثم يكتشفون كل يوم جديدًا . . ولعل غدة بسيطة مثل « حبة العدس » تقع فى قاع المخ فى الجمجمة ، تدير عجلة الجسم لا يعرف عنها الكثيرون شيئًا !!

obeikandl.com

قدسية القرآن

السؤال : **ما الحكم فيمن يلف البضائع فى ورق مكتوب فيه آيات من القرآن الكريم ، أو الحديث الشريف ، أو أسماء اللّه تعالى ؟**

الجواب : أجمع المسلمون على وجوب تعظيم القرآن ، وتنزيهه وصيانته . وعلى هذا يحرم جعل الأوراق التى فيها شىء من القرآن أو الحديث غلافًا يستخدم من قبل الباعة ؛ أو يمتهن بأن يلقى فى الأرض فيطؤه الناس بغير علم .

والجدير بالمسلم أن يتجنب فعل شىء فيه مساس بقدسية كتاب اللّه سبحانه أو أي اسم من أسمائه تعالى ، حتى يكون إيمانه بالقول والعمل .

وجدير بالذكر أن أي ورق يكتب فيه آيات من القرآن الكريم تكون له قدسية واحترام القرآن ، وأنه أخذ هذه القدسية مما كتب فيه لا من كونه ورقا ، والمسلم الذى يعلم ذلك ثم يتعمد بيع أوراق المصحف والمجلات والكتب التى تحتوي على كلام اللّه وكلام رسوله صلى اللّه عليه وسلم للباعة لاستخدامها كمغلف لبضاعتهم أو يلقيها فى الأرض يخشى على إيمانه نسأل اللّه أن يتوب عليه ويبصره بفداحة ما يعمل ؛ أما الجاهل فَيُعَلَّم .

obeikandl.com

هل لغة القرآن العربية لفظيا هى كلام اللّه

السؤال : **هل القرآن المكتوب فى المصحف حاليًا بين أيدينا هو كلام اللّه سبحانه وتعالى ؟**

الجواب : إن القرآن المكتوب فى المصحف برسمه وهيئته من اللّه سبحانه وتعالى باللغة نفسها . قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الأخلاص : ١] .

إذا أنت استقبلت ممن يأمرك وهو عال عنك كلمة قل كذا ، فإنه يكفيك أن تقول مقول القول فقط .

فالمبلغ عليه تبليغ مقول القول ، وليس القول جميعه . . لكن أسلوب القرآن غير هذا ، يقول : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [الكافرون : ١] . فكأن الرسول لا تصرف له فى شىء مطلقًا فى هذه الرسالة ، لا لوم عليه ؛ لأنه مستقبل هذا الكلام من اللّه .

obeikandl.com

التفسير العلمى للقرآن

السـؤال : ما هو رأى فضيلتكم فى منهج التفسير العلمي للقرآن ؟

الجـواب : إن اللّه سبحانه وتعالى شرع لنا من التكاليف ما تختلف فيه الأهواء ؛ ليعصمنا من صراعات هذه الأهواء ، أما الأمور العلمية التى تخضع للتجارب المعملية المادية ، فالكل متفق عليها ، المادة صماء لا تجامل باحثًا أبدًا ، الغاية التى ينتهى إليها كل باحث يدخل معمله أمام المادة بدون هوى تلتقى مع ما يذهب إليه نظره أيضًا إذا دخل معمله أمام المادة وله هوى ؛ لأن المادة صماء لا تجامل أحدًا .

وإذا نظرنا إلى المسائل المادية وجدنا أن الرسول صلى اللّه عليه وسلم قد وضع فى ذلك حدا للمسلمين ، وحدا واضحا . . وجعل نفسه مقياس هذه التجربة ، ما هي التجربة العلمية أولاً ؟

التجربة العلمية تنشأ من ملاحظة ظاهرة فى الكون . ثم لا تمر هذه الملاحظة مرورًا عابرًا بل تقف موقف التأمل ، ولا تقف موقف التأمل لتستمع فقط ، بل لتنتفع ؛ أي أن تأخذ من الظاهرة شيئًا يفيدها فى تصعيد إسعاد حياتها ، والقرآن حينما يعرض هذه المسألة الكونية يقول : ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٥] .

إذن فالآيات فى السموات والأرض يطلب منا اللّه سبحانه وتعالى أن ننظر إليها نظرة متأنِّية متأملة وليست نظرة عابرة ، وأن نتفحصها لنستهدى بواسطتها . تلك هي الملاحظة والتجربة .

الأمر المادى لا تختلف فيه الأهواء أبدًا ، ومعنى ذلك أن النتيجة التى تنتهى إليها تكون واحدة ، وسبق أن قلنا : إنه لا توجد كهرباء روسى ولا كهرباء أمريكى ، ولا توجد كيمياء بريطانى وكيمياء ألمانى .

openkanal.com

كل ما انتهُىَ إليه من القضايا العلمية التجريبية الناشئة من المعمل ، وباتت أمورا متفقا عليها بالقطع هى مفيدة فى فهم القرآن وتدبر آياته ؛ وتزيد المؤمن إيمانا ، فالعلم لا يتعارض مع القرآن ، شريطة أن يكون علما معمليا تجريبيا ؛ لا مجرد نظريات أو أقوال مزعومة تنسب لهذا أو لذاك بدون دليل معملى يوثقها .

أما الذين يغالون فى ذلك ويأخذونها دليلا على صحة القرآن بزعمهم فتقول هنا : لا . . هذا خطأ فنحن بحمد اللَّه تعالى مؤمنون بالقرآن الكريم كلام اللَّه تعالى موحى به إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ، قيما لا عوج فيه ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، محفوظا بحفظ اللَّه تعالى له ؛ لا زيادة فيه ولا نقصان إلى أن يرث اللَّه تعالى الأرض ومن عليها .

obeikandl.com

نزول القرآن من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا

السؤال : **لماذا نسب اللَّه سبحانه وتعالى نزول القرآن إلى ذاته المقدسة فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ تارة ، والنزول إلى جبريل كما فى قوله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ تارة أخرى ؟**

الجواب : إن مادة أنزل لم تسند إلا للَّه سبحانه وتعالى . . فقول اللَّه : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر : ١] . . أي أخرجناه من اللوح المحفوظ من عالم الغيب الذى كان مستورًا فيه دفعة واحدة ليباشر مهمته فى الوجود وبعد ذلك من الجائز أن يكون أول نجم فيه قد نزل فى هذه الليلة المباركة .

والذى يجب أن نفهمه أن اللَّه تعالى حين نسب القرآن إلى ذاته ، والنزول به إلى جبريل ، فهذا معناه أن جبريل حمله كما هو ، كما أنزله اللَّه من اللوح المحفوظ إلى النبى صلى اللَّه عليه وسلم ، وأنه لم يجر فيه أي تعديل أو تبديل بل هو كما أنزله اللَّه سبحانه وتعالى .

إذن ليلة القدر . . الليلة التى نزل فيها اللَّه تعالى القرآن ليباشر مهمته فى الوجود أنزله إلى السماء الدنيا يأخذ منه جبريل بإذنه سبحانه لينزله على محمد صلى اللَّه عليه وسلم .

لقد كان القرآن الكريم إلى أن أخذه جبريل فى طى غيب اللَّه . وبعد ذلك حين أوصله جبريل إلى رسول اللَّه كان فى طى الغيب عنا .

فقول اللَّه تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ يدل على أن معنى الإنزال ابتداء مباشرة القرآن مهمته فى الوجود بافعل ولا تفعل .

obeikandl.com

وذلك بأن ينزله اللَّه دفعة واحدة إلى السماء الدنيا ثم ينزل به جبريل بعد ذلك منجمًا حسب الحوادث[١] .

(١) روى الحاكم فى المستدرك [٢٨٧٨/ ٧] عن ابن عباس رضى اللَّه تعالى عنهما فى قوله : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ قال : أنزل القرآن جملة واحدة فى ليلة القدر إلى السماء الدنيا وكان بموقع النجوم وكان اللَّه ينزله على رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم بعضه فى أثر بعض قال : وقالوا : ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان : ٣٢] .

وقال الحاكم : حديث صحيح على شرطهما ولم يخرجاه .

وقال الذهبي فى التلخيص : على شرط البخارى ومسلم .

obeikandl.com

مشروعية التسمية

السؤال : **اللَّه سبحانه وتعالى أمرنا بالاستعانة باسمه فى كل أمر من أمور الدنيا . . فآيات كتابه الكريم تبدأ بقوله : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ . وسنة التكبير على الأنعام بـ : « باسم اللَّه . . اللَّه أكبر » . وبداية كل عمل بـ « باسم اللَّه » فلماذا ؟**

الجواب : لأن جميع النعم مسخرة لنا ، أى : إنها ليست خاضعة لقدراتنا وهناك آيات فى الكون هى أكبر من قدرة وقوة الإنسان بملايين المرات ، كالشمس مثلاً ، إن اقتربت قليلاً من الأرض أحرقتها ، وإن ابتعدت عنها قليلاً حولتها إلى كتلة جليد .

ولكن هل الشمس تستطيع ذلك من تلقاء نفسها ؟ أم أنها خاضعة للَّه سبحانه وتعالى الذى سخرها لخدمة البشر ؟

بالقطع هى خاضعة لقدرة اللَّه ، فهى تعطى الدفء ، وتخدم الحياة على الأرض بقدرة اللَّه لا بقدرة الإنسان ، فالإنسان لا يمسك بها مثلاً فى مكانها بحيث لا تتزحزح عنه ، كما أن قدرة الإنسان ليست هى التى تحفظ المسافة بين الأرض والشمس .

إذن . . الإنسان ينتفع بقدرة الشمس بتسخير اللَّه سبحانه وتعالى للشمس ، لتكون فى خدمة البشر . وهكذا آيات اللَّه الكبرى .

فإذا أنت استعنت باسم اللَّه ، فإنك تكون قد وضعت قدرة اللَّه سبحانه وتعالى بجانبك وبذلك يكون كل شىء فى الأرض فى خدمتك ، يستجيب لك ويعطيك أحسن الثمار ، سواء أكان ذلك سعيًا للرزق ، أم طلبًا للشفاء أو استعاذة من عدو أو طلبًا للعون فى مسألة وصلت فيها إلى طريق مسدود[١] .

---

(١) عن ابن عباس قال : كُنْتُ خَلْفَ النَّبِي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم يوماً ، فقال : « يا غُلام ، =

إذن . . فأنت حينما تبدأ عملك مستعينًا بخالق هذا الكون ، وموجد

= احْفَظِ اللَّه يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللَّه تَجِدْهُ تُجَاهَك ، وإذا سألت فاسألِ اللَّه، وإذا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِنْ باللَّه »[1] . رواه الترمذى ، وقال : حسن صحيح .

قال الصنعانى فى سبل السلام شرح بلوغ المرام : « يا غلام احفظ اللَّه جواب الأمر « تجده » مثله « تجاهك » فى القاموس وتجاهك مثلين تلقاء وجهك ، « وإذا سألت » حاجة من حوائج الدارين ، « فاسأل اللَّه » فإن بيده أمورهما ، « وإذا استعنت فاستعن بالله » رواه الترمذى وقال : حسن صحيح ، وتمامه : « واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه اللَّه لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه اللَّه عليك جفت الأقلام وطويت الصحف»، وأخرجه أحمد عن ابن عباس بإسناد حسن بلفظ : « كنت رديف النبى صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم فقال : يا غلام أو يا غليم ألا أعلمك كلمات ينفعك اللَّه بهن ؟ فقلت : بلى . قال : احفظ اللَّه يحفظك ، احفظ اللَّه تجده أمامك تعرف إلى اللَّه فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، وإذا سألت فاسأل اللَّه ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، قد جف القلم بما هو كائن ، فلو أن الخلق جميعاً أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يقضه اللَّه تعالى لم يقدوا عليه ، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه اللَّه عليك لم يقدروا عليه، واعلم أن فى الصبر على ما تكره خيرا كثيرا ، وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا »[2]. وله ألفاظ أخر وهو حديث جليل أفرده بعض علماء الحنابلة بتصنيف مفرد فإنه اشتمل على وصايا جليلة .

والمراد من قوله :« احفظ اللَّه » أي حدوده وعهوده وأوامره ونواهيه . وحفظ ذلك هو الوقوف عند أوامره بالامتثال ، وعند نواهيه بالاجتناب ، وعند حدوده أن لا يتجاوزها ولا يتعدى ما أمر به إلى ما نهى عنه ، فيدخل فى ذلك فعل الواجبات كلها وترك المنهيات كلها .

وقال تعالى : ﴿ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ١١٢]

وقال : ﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾ [سورة ق : ٣٢] فسر العلماء الحفيظ بالحافظ لأوامر الله، وفسر بالحفظ لذنوبه حتى يرجع منها فأمره صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم بحفظ اللَّه يدخل فيه كل ما ذكر وتفاصيلها واسعة .

وقوله : « تجده أمامك » وفى اللفظ الآخر « يحفظك » ، والمعنى متقارب أي تجده أمامك بالحفظ لك من شرور الدارين جزاء وفاقاً من باب : ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [البقرة : ٤٠] يحفظه فى دنياه عن غشيان الذنوب وعن كل أمر مرهوب ويحفظ ذريته من بعده كما قال تعالى : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾ [الكهف : ٨٢] .

وقوله : « فاسأل اللَّه » أمر بإفراد اللَّه عزّ وجلّ بالسؤال وإنزال الحاجات به وحده، وأخرج =

(١) رواه الترمذى [٢٥١٦] وقال الألبانى : صحيح .

(٢) رواه أحمد فى المسند [١/ ٢٩٣] وقال الشيخ شاكر : إسناده صحيح ، وقال الأرناؤوط : إسناده قوى .

كل شيء ، فإنك فى هذه الحالة تكون معتمدًا على اللَّه سبحانه وتعالى .

= الترمذى مرفوعاً « سلوا اللَّه من فضله فإن اللَّه يحب أن يسأل »[١] وفيه من حديث أبى هريرة مرفوعاً « من لا يسأل اللَّه يغضب عليه »[٢] وفيه « إن اللَّه يحب الملحين فى الدعاء »[٣] وفى حديث آخر : « يسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع »[٤] .

وقوله : « إذا استعنت فاستعن بالله » مأخوذ من قوله : ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ أي نفردك بالاستعانة . أمره صلى اللَّه تعالى عليه وعلى آله وسلم أن يستعين بالله وحده فى كل أموره ، أى : إفراده بالاستعانة على ما يريده وفى إفراده تعالى بالاستعانة فائدتان :

فالأولى : أن العبد عاجز عن الاستقلال بنفسه فى الطاعات .

والثانية : أنه لا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا اللَّه عزّ وجلّ فمن أعانه اللَّه فهو المعان، ومن خذله فهو المخذول .

وفى الحديث الصحيح « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز »[٥] وعلم صلى اللَّه عليه وآله وسلم العباد أن يقولوا فى خطبة الحاجة : « الحمد لله نستعينه »[٦] وعلم معاذا أن يقول دبر الصلاة : « اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك »[٧] فالعبد أحوج شيء إلى مولاه فى طلب إعانته على فعل المأمورات وترك المحظورات والصبر على المقدورات . قال يعقوب صلى اللَّه تعالى عليه وعلى آله وسلم فى الصبر على المقدور : ﴿ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف : ١٨] .

وما ذكر من هذه الوصايا النبوية لا ينافى القيام بالأسباب ، فإنها من جملة سؤال اللَّه والاستعانة به ، فإن من طلب رزقه بسبب من أسباب المعاش المأذون فيها رُزق من جهته فهو منه تعالى ، وإن حرم فهو لمصلحة لا يعلمها ولو كشف الغطاء لعلم أن الحرمان خير من العطاء ، والكسب الممدوح المأجور فاعله عليه هو ما كان لطلب الكفاية له ولمن يعوله، أو الزائد على ذلك إذا كان يعدّه لقرض محتاج أو صلة رحم أو إعانة طالب علم أو =

(١) رواه الترمذى [٢٥٧١] عن ابن مسعود رضى اللَّه تعالى عنه وقال الألبانى : ضعيف ، والطبرانى فى الكبير [١٠/ ١٠١/ ١٠٠٨٨] .

(٢) رواه الترمذى [٣٣٧٣] بلفظ : « من لم يسأل . . . » وقال الألبانى : حسن .

(٣) رواه القضاعى فى مسند الشهاب [٢/ ١٤٥/ ١٠٦٩] عن عائشة رضى اللَّه عنها .

(٤) رواه ابن حبان فى صحيحه [٨٩٤] وقال الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم ورجاله ثقات رجال الشيخين وأبو يعلى فى مسنده [٦/ ١٣٠/ ٣٤٠٣] .

(٥) رواه مسلم [٢٦٦٤/ ٣٤] ، وابن ماجه [٧٩] ، والنسائى فى الكبرى [٦/ ١٦٠/ ١٠٤٦١] عن أبى هريرة رضى اللَّه تعالى عنه .

(٦) رواه النسائى فى المجتبى [٣/ ١٠٥/ ١٤٠٤] وقال الألبانى : صحيح ، والحاكم فى المستدرك [٢/ ١٩٩] وأبو داود الطيالسى فى مسنده [٣٣٨] عن ابن مسعود رضى اللَّه عنه .

(٧) رواه أحمد فى المسند [٥/ ٢٤٤، ٢٤٥] وقال الأرناؤوط : إسناده صحيح .

obeikandl.com

فإذا أصابك خير فهو من اللّه . . وإذا منع عنك ثمرة العمل . . أو ما تشتهيه من العمل فتلك قدرة اللّه قد منع بها عنك شرًا لا تعرفه ، أو أزاح عنك ضيقًا كنت تعتقد أنه خير . وتقبل عليه غير مدرك ما يخفيه الغيب عنك من شرور (١) .

= نحوه من وجوه الخير لا لغير ذلك ، فإنه يكون من الاشتغال بالدنيا وفتح باب محبتها الذى هو رأس كل خطيئة .

(١) قال اللّه تعالى : ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ . . قال ابن جرير الطبرى : يقول تعالى ذكره مذكرا عباده أياديه عندهم ، ويدعو الإنسان على نفسه وولده وماله بالشر ، فيقول : اللهم أهلكه والعنه عند ضجره وغضبه ، كدعائه بالخير : يقول : كدعائه ربه بأن يهب له العافية ، ويرزقه السلامة فى نفسه وماله وولده ، يقول : فلو استجيب له فى دعائه على نفسه وماله وولده بالشر كما يستجاب له فى الخير هلك ، ولكن اللّه بفضله لا يستجيب له فى ذلك .

ويقول تعالى : ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ﴾ . قال ابن جرير الطبرى : قال ابن عباس : كنت ردف النبى صلى اللّه عليه وسلم ، فقال : « يا ابن عباس ارض عن اللّه بما قدر وإن كان خلاف هواك ، فإنه مثبت فى كتاب اللّه » قلت : يا رسول اللّه فأين وقد قرأت القرآن ؟ قال : فى قوله : ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وقال القرطبى : قوله تعالى : ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا ﴾ قيل : ﴿ عَسَىٰ ﴾ : بمعنى قد قاله الأصم . وقيل : هى واجبة . و« عسى » من اللّه واجبة فى جميع القرآن إلا قوله تعالى : ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ ﴾ [التحريم : ٥] . وقال أبو عبيدة : ﴿ عَسَىٰ ﴾ من اللّه إيجاب ، والمعنى عسى أن تكرهوا ما فى الجهاد من المشقة وهو خير لكم فى أنكم تغلبون وتظفرون وتغنمون وتؤجرون ، ومن مات مات شهيدا ، وعسى أن تحبوا الدعة وترك القتال وهو شر لكم فى أنكم تغلبون وتذلون ويذهب أمركم .

قلت - أى : القرطبى : وهذا صحيح لا غبار عليه ، كما اتفق فى بلاد الأندلس ، تركوا الجهاد وجبنوا عن القتال وأكثروا من الفرار ، فاستولى العدو على البلاد ، وأي بلاد ؟! وأسر وقتل وسبى واسترق ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ! ذلك بما قدمت أيدينا وكسبته ! وقال الحسن فى معنى الآية : لا تكرهوا الملمات الواقعة ، فلرب أمر تكرهه فيه نجاتك ، ولرب أمر تحبه فيه عطبك ، وأنشد أبو سعيد الضرير :

رب أمر تتقيه ... جر أمرًا ترتضيه
فى المحبوب منه ... وبدا المكروه فيه =

---

(١) رواه ابن جرير الطبرى [٣٢٤٨] .

= وجاء فى الحديث الذى رواه الترمذى وابن ماجه عن أبي هريرة رضى اللّه تعالى عنه: اللهم انفعني بما علمتنى ، وعلمني ما ينفعنى ، وزدني علما . الحمد لله على كل حال ، وأعوذ بالله من حال أهل النار [١] .

قال المناوي فى شرح القدير : « اللّهم انفعني بما علمتنى » بالعمل بمقتضاه خالصاً لوجهك « وعلمني ما ينفعنى » لأرتقي منه إلى عمل زائد على ذلك « وزدني علماً » مضافاً إلى ما علمتنيه وهذه إشارة إلى طلب المزيد فى السير والسلوك إلى أن يوصله إلى مخدع الوصال وبه ظهر أن العلم وسيلة للعمل وهما متلازمان ومن ثم قالوا: ما أمر اللّه رسوله بطلب الزيادة فى شيء إلا فى العلم « الحمد للّه على كل حال » من أحوال السراء والضراء وكم يترتب على الضراء من عواقب حميدة ومواهب كريمة يستحق الحمد عليها ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ قال فى الحكم : من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذاك لقصور نظره . وقال الغزالى : لا شدة إلا وفى جنبها نعم للّه فليلزم الحمد والشكر على تلك النعم المقترنة بها قال عمر رضى اللّه تعالى عنه : ما ابتليت ببلية إلا كان للّه عليّ فيها أربع نعم إذ لم تكن فى ديني وإذ لم أحرم الرضا وإذ لم تكن أعظم وإذ رجوت الثواب عليها . وقال إمام الحرمين : شدائد الدنيا مما يلزم العبد الشكر عليها لأنها نعم بالحقيقة بدليل أنها تعرض العبد لمنافع عظيمة ومثوبات جزيلة وأغراض كريمة تتلاشى فى جنبها شدائد « وأعوذ باللّه من حال أهل النار »[٢] فى النار وغيرها . قال الطيبى : وما أحسن موقع الحمد فى هذا المقام ومعنى المزيد فيه ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ وموقع الاستعاذة من الحال المضاف إلى النار تلميحاً إلى القطيعة والبعد وهذا الدعاء من جوامع الكلم التى لا مطمح وراءها .

(١) رواه الترمذى [٣٥٩٩] ، وابن ماجه [٢٥١] وقال الألباني : صحيح ، دون الحمد .
(٢) ذكره المتقى الهندى فى كنز العمال [٥١٠٢] وعزاه للديلمى عن أنس رضى اللّه عنه .

obeikandl.com

ما سر المثل بالبعوضة

السؤال : ضرب اللَّه مثلاً بالبعوضة نرجو توضيح هذه الفكرة ؟

الجواب : يقول تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [البقرة : ٢٦] .

بعد أن تحدث الحق تبارك وتعالى عن الجنة . . وأعطانا مثلاً يقرب لنا صور النعيم الهائلة التى سينعم بها الإنسان فى الجنة . . أراد أن يوضح لنا المنهج الإيمانى الذى يجب أن يسلكه كل مؤمن . . ذلك أن اللَّه سبحانه وتعالى لا يكلف كافرًا بعبادته . . ولكن الإنسان الذى ارتضى دخول الإيمان باللَّه جل جلاله قد دخل فى عقد إيمانى مع اللَّه تبارك وتعالى . . وما دام قد دخل فى العقد الإيمانى فإنه يتلقى عن اللَّه منهجه فى افعلْ ولا تفعلْ . . وهذا المنهج عليه أن يطبقه بدون أن يتساءل عن الحكمة فى كل شىء . . ذلك أن الإيمان هو إيمان بالغيب . . فإذا كان الشىء نفسه غائبًا عنا فكيف نريد أن نعرف حكمته .

إن حكمة أي تكليف إيمانى هى : أنه صادر من اللَّه سبحانه وتعالى ، وما دام صادرًا من اللَّه فهو لم يصدر من مُساوٍ لك كى تناقشه ، ولكنه صادر من إله وجبت عليك له الطاعة ؛ لأنه إله وأنت له عبد . . فيكفى أن اللَّه سبحانه وتعالى قال : افعل حتى نفعل . . ويكفى أنه قال : لا تفعل حتى لا نفعل .

إذن . . الحكمة غائبة عنك ، ولكن صدور الأمر من اللَّه هو الحكمة ، وهو الموجب للطاعة . . فأنا أصلى ؛ لأن اللَّه فرض الصلاة ،

ولا أصلى كنوع من الرياضة . . وأنا أتوضأ ؛ لأن اللَّه تبارك وتعالى أمرنا بالوضوء قبل الصلاة . . ولكننى لا أتوضأ كنوع من النظافة . . وأنا أصوم ؛ لأن اللَّه أمرنى بالصوم . . ولا أصوم كى أشعر بجوع الفقير . . لأنه لو كانت الصلاة رياضة لاستبدلناها بالرياضة فى الملاعب . . ولو أن الوضوء كان نظافة لقمنا بالاستحمام قبل كل صلاة . . ولو أن الصوم لنشعر بالجوع ما وجب على الفقير أن يصوم ؛ لأنه يعرف معنى الجوع .

إذن . . فكل أوامر اللَّه نفعلها ؛ لأن اللَّه شرعها ولا نفعلها لأى شىء آخر وكل ما جاء فى القرآن نستقبله على أنه كلام اللَّه نزل به الأمين جبريل على رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ولا نستقبله بأى صيغة أخرى . . ذلك هو الإيمان الذى يريد اللَّه منا أن نتمسك به ، وأن يكون هو سلوك حياتنا .

تلك مقدمة كان لابد منها إذا أردنا أن نعرف معنى الآية الكريمة : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ وعندما ضرب اللَّه مثلاً بالبعوضة . . استقبله الكفار بالمعنى الدنيوى من دون أن يفطنوا للمعنى الحقيقى ، قالوا : كيف يضرب اللَّه مثلاً بالبعوضة ذلك المخلوق الضعيف الذى يكفى أن تضربه بأى شىء أو بكفك فيموت ؟ .

لماذا لم يضرب اللَّه تبارك وتعالى مثلاً بالفيل الذى هو ضخم الجثة شديد القوة ؟

أو لماذا لم يضرب المثل بالأسد الذى هو أقوى من الإنسان وضرب لنا مثلاً بالبعوضة فقالوا : ﴿ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ ؟

ولم يفطنوا إلى أن هذه البعوضة دقيقة الحجم خلقها معجزة . . لأن فى هذا الحجم الدقيق وضع اللَّه سبحانه وتعالى كل الأجهزة اللازمة لها فى حياتها ، فلها عينان ولها خرطوم دقيق جدًّا ولكنه يستطيع أن يخرق جلد الإنسان ، ويخرق الأوعية الدموية التى تحت الجلد ليمتص دم الإنسان .

والبعوضة لها أرجل ولها أجنحة ولها دورة تناسلية ولها كل ما يلزم لحياتها كل هذا فى هذا الحجم الدقيق . . كلما دق الشىء احتاج إلى دقة خلق أكبر .

ونحن نشاهد فى حياتنا البشرية أنه مثلاً عندما اخترع الإنسان الساعة كان حجمها ضخمًا جدًّا لدرجة أنها تحتاج إلى مكان كبير ، وكلما تقدمت الحضارة وارتقى الإنسان فى صناعته وحضارته وتقدمه ، أصبح الحجم دقيقًا وصغيرًا ، وهكذا أخذت صناعة الساعات تتناهى فى الدقة والحجم ، حتى أصبح من الممكن صنع ساعة فى حجم الخاتم أو أقل ، وعندما بدأ اختراع المذياع أو الراديو كان حجمه كبيرًا ، والآن أصبح فى غاية الدقة لدرجة أنك تستطيع أن تضعه فى جيبك أو أقل من ذلك ، وكذا فى كل الصناعات عندما ترتقى يصغر حجمها ؛ لأن ذلك محتاج إلى صناعة ماهر وإلى تقدم علمى .

وهكذا حين ضرب اللَّه مثلاً بالبعوضة وما فوقها ، أى : بما هو أقل منها حجمًا . . فإنه تبارك وتعالى أراد أن يلفتنا إلى دقة الخلق ، فكلما لطف الشىء وصغر حجمه احتاج إلى الدقة فى الصُنع ، ولكن الكفار لم يأخذوا المعنى على هذا النحو وإنما أخذوه بالمعنى الدنيوى البسيط الذى لا يمثل الحقيقة .

فاللَّه سبحانه وتعالى حينما ضرب هذا المثل . . استقبله المؤمنون بأنه كلام اللَّه ، واستقبلوه بمنطق الإيمان باللَّه ، فصدقوا به سواء فهموه أم لم يفهموه لأن المؤمن يصدق بكل ما جاء من عند اللَّه سواء علم الحكمة أو لم يعلمها ، واقرأ قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأعراف] .

إذن . . إن كل مصدق بالقرآن لا يطلب تأويله ولا يطلب معرفة الحكمة من آياته . . ولذلك قال الكافرون : ﴿ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ .

فيأتيهم قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[1] .

---

(١) قال القرطبى : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً ﴾ قال ابن عباس فى رواية أبي صالح : لما ضرب اللَّه سبحانه هذين المثلين للمنافقين : يعني ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ [البقرة : ١٧] وقوله : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة : ١٩] قالوا : اللَّه أجل وأعلى من أن يضرب الأمثال، فأنزل اللَّه هذه الآية . وفى رواية عطاء عن ابن=

= عباس قال: لما ذكر الله آلهة المشركين فقال : ﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾ [الحج : ٧٣] وذكر كيد الآلهة فجعله كبيت العنكبوت ، قالوا : أرأيت حيث ذكر الله الذباب والعنكبوت فيما أنزل من القرآن على محمد ، أي شيء يصنع ؟ فأنزل الله الآية .

وقال الحسن وقتادة : لما ذكر الله الذباب والعنكبوت فى كتابه وضرب للمشركين به المثل ، ضحكت اليهود وقالوا: ما يشبه هذا كلام الله ، فأنزل الله الآية .

و « يستحيى » أصله يستحيِيُ ، عينه ولامه حرفا علة ، أعلت اللام منه بأن استثقلت الضمة على الياء فسكنت . واسم الفاعل فى هذا : مستحيٍ ، والجمع مستحيون ومستحيين . وقرأ ابن محيصن « يستحى » بكسر الحاء وياء واحدة ساكنة، وروى عن ابن كثير، وهي لغة تميم وبكر بن وائل ، نقلت فيها حركة الياء الأولى إلى الحاء فسكنت، ثم استثقلت الضمة على الثانية فسكنت ، فحذفت إحداهما للالتقاء، واسم الفاعل مستح ، والجمع مستحون ومستحين . قاله الجوهرى . واختلف المتأولون فى معنى « يستحيى » فى هذه الآية فقيل : لا يخشى ، ورجحه الطبري، وفى التنزيل : ﴿ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ [الأحزاب : ٣٧] بمعنى تستحي. وقال غيره : لا يترك . وقيل : لا يمتنع . وأصل الاستحياء الانقباض عن الشيء والامتناع منه خوفا من مواقعة القبيح ، وهذا محال على الله تعالى. وفى صحيح مسلم عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : جاءت أم سليم إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله، إن الله لا يستحيي من الحق[1] . المعنى لا يأمر بالحياء فيه ، ولا يمتنع من ذكره .

وروى ابن جرير الطبري عن الربيع بن أنس ، فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ قال : هذا مثل ضربه الله للدنيا ، إن البعوضة تحيا ما جاعت ، فإذا سمنت ماتت ، وكذلك مثل هؤلاء القوم الذين ضرب الله لهم هذا المثل فى القرآن ، إذا امتلأوا من الدنيا ريا أخذهم الله عند ذلك . قال : ثم تلا ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ٤٤] الآية .

وروي عن قتادة قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ أى : إن الله لا يستحيي من الحق أن يذكر منه شيء ما قل منه أو كثر إن الله حين ذكر فى كتابه الذباب والعنكبوت ، قال أهل الضلالة: ما أراد الله من ذكر هذا ؟ فأنزل الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾

وروي عن قتادة ، قال : لما ذكر الله العنكبوت والذباب ، قال المشركون : ما بال العنكبوت والذباب يذكران ؟ فأنزل الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ وقد ذهب كل قائل ممن ذكرنا قوله فى هذه الآية وفى المعنى الذى نزلت فيه مذهبا ، غير أن أولى ذلك بالصواب وأشبهه بالحق ما ذكرنا من قول ابن مسعود وابن عباس . وذلك أن الله جل ذكره أخبر عباده أنه لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما =

(١) رواه مسلم [٣١٤] ، وأحمد فى المسند [٦/ ٣٠٢] .

= فوقها عقيب أمثال قد تقدمت فى هذه السورة ضربها للمنافقين دون الأمثال التى ضربها فى سائر السور غيرها . فلأن يكون هذا القول، أعني قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا ﴾ جوابا لنكير الكفار والمنافقين ما ضرب لهم من الأمثال فى هذه السورة أحق وأولى من أن يكون ذلك جوابا لنكيرهم ما ضرب لهم من الأمثال فى غيرها من السور . فإن قال قائل : إنما أوجب أن يكون ذلك جوابا لنكيرهم ما ضرب من الأمثال فى سائر السور ؛ لأن الأمثال التى ضربها اللّه لهم ولآلهتهم فى سائر السور أمثال موافقة المعنى ، لما أخبر عنه أنه لا يستحي أن يضربه مثلا ، إذ كان بعضها تمثيلا لآلهتهم بالعنكبوت وبعضها تشبيها لها فى الضعف والمهانة بالذباب ، وليس ذكر شيء من ذلك بموجود فى هذه السورة فيجوز أن يقال : إن اللّه لا يستحيي أن يضرب مثلا ما فإن ذلك بخلاف ما ظن ، وذلك أن قول اللّه جل ثناؤه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ إنما هو خبر منه جل ذكره أنه لا يستحيي أن يضرب فى الحق من الأمثال صغيرها وكبيرها ابتلاء بذلك عباده واختبارا منه لهم ليميز به أهل الإيمان والتصديق به من أهل الضلال والكفر به ، إضلالا منه به لقوم وهداية منه به لآخرين .

obeikandl.com

اختلاف اللغات والألسنة

السـؤال : **يقول اللّه تبارك وتعالى فى القرآن الكريم : ﴿ . . وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ وهذا يعني أن اللّه علم آدم الأسماء كلها بلغة واحدة ولسان واحد ! فلماذا اختلاف الألسنة ؟!**

الجـواب : طلاقة قدرة اللّه عندما ألهم آدم بسره العظيم . . ألهم اللّه آدم بـ « كن . . عالمًا بالأسماء » فتعلم آدم الأسماء .

وعند تلك النقطة يتساءل البعض عن السر فى اختلاف اللغات من مكان إلى آخر . . رغم أن الخالق الأكرم قد علم آدم أسماء المسميات الموجودة فى الكون .

لماذا إذن . . هناك ألوان من اللغات والألسنة ؟

والإجابة هى :

إن تنوع فترات التاريخ ، وتتبع انتشار الإنسان على الأرض يجعلنا نجد أن كل مجموعة من اللغات تقترب من بعضها لتكون لغة واحدة ؛ فالفرنسية والإنجليزية والإيطالية مأخوذة عن اللاتينية والعبرية والسريانية ؛ وكلاهما له علاقة باللغة العربية .

بل إن اللهجات التى يتكلم بها العالم العربى تتنوع فى اللغة الواحدة - ولو أن العرب استسلموا لمحاولات المستغربين وهم أبناء الأمة العربية الذين تعلموا فى خارجها . وكتبوا لغتهم بالحروف اللاتينية مثلاً لاندثرت اللغة العربية من وطن عربى إلى آخر .

ولو استسلمت الأمة العربية إلى المحاولات الساذجة التى تحاول أن تجعل من اللهجات المحلية فى كل بلد لغة أساسية لتفرقت اللغة العربية وصارت كل لهجة منفصلة عن اللغة الأم ، ولأصبحت تلك اللغات مختلفة تمامًا عن أصولها العربية الفصيحة ، ثم اندثرت اللغة العربية من بلد لآخر .

obeikandl.com

ويلاحظ الفرد منا أنه إذا سافر إلى أي بلد عربى فقد يتعذر عليه أن يفهم لهجة أهل ذلك البلد .

فمن الصعب مثلاً على المصرى أن يفهم للوهلة الأولى اللهجة العامية الجزائرية .

ولكن عندما ينطق المصرى والجزائرى معًا لغة القرآن الفصيحة فإن التفاهم يكون كاملاً وناضجًا .

إن القرآن الكريم قد ربط العرب باللسان الفصيح . ولهذا يكون من السهل على أبناء أمة القرآن أن تتفاهم بلغته .

وإذا سأل سائل . . ولماذا لا يكون الكلام فى كل الدول العربية بالفصحى ؟

فإن الإجابة عن هذا التساؤل تمر بفترات الوهن التاريخى الذى مر على العرب خلال القرون السابقة . . فانعزلت الدول عن بعضها ، ومضى كل مجتمع يتناول اللغة كمظهر اجتماعى ، وسقط التفاهم باللغة الناضجة وحل محل تلك اللغة لهجات مختلفة .

ومن فضل اللّه على المسلمين أن ربط الدين بالقرآن الكريم فصار عاصمًا للغتهم الأم من أن تتحول إلى لغات متعددة . واقرأ قول الحق جل وعلا : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف : ٣] . وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٤] .

وكأن الحق تبارك وتعالى يُذكّر النبى بحال ومستقبل أمته . . وكيف يعصمهم القرآن من الشتات اللغوى ، وكيف أن القرآن سيظل عاصمًا لأمة القرآن من ضياع جذورهم بلغتهم . . لغة القرآن .

وهكذا نجد أن كل النزعات الذاتية فى كل بلد عربى لا تنمو إلى الدرجة التى تنفصل فيها اللهجات لتصبح لها قواعد للنحو والصرف وغير ذلك من ضرورات قيام اللغة المنفصلة عن اللغة الأم ، كما حدث فى اللغة الإنجليزية والفرنسية ، وكما يحدث الآن من انفصال بين اللغة الإنجليزية المستخدمة فى انجلترا واللغة الإنجليزية المستخدمة فى أمريكا ، إن اللغة الإنجليزية فى أمريكا تضع الآن قواعد خاصة بها ، والعجيب أننا فى البلاد

العربية نسمع من حين لآخر بعض الأصوات التى تنادى بالتدوين للعامية .

وهذا يعنى نوعًا من الخصومة غير الواعية بالحق الطبيعى للشعوب العربية فى أن تظل لغة القرآن هى اللغة الأولى والسيدة فى العالم العربى .

إن خصوم القرآن وخصوم الإسلام يريدون ذلك ، يريدون تحوير اللهجات المحلية لتصبح لغات منفصلة ، وبهذا تنفصل البلاد العربية عن بعضها البعض بحواجز اللغات المختلفة ، هكذا يظن الحاقدون على الإسلام أنهم قادرون على فصل العرب عن لغة القرآن الكريم .

إن لغة القرآن تحفظ مقومات أمة العرب فلا عفوية فيها ولا عوج فى النطق .

إن من فضل اللّه على المسلمين أن نزل بالجزيرة العربية وبلغة العرب .

ولهذا فعلينا أن نتنبه إلى أي دعوة لهدم الرباط اللغوى الذى يربط البلاد العربية . يجب أن نتنبه إلى دعوات الهدم التى ترتدى أقنعة غريبة ، كأن يقول واحد :

لماذا لا تكتب اللغة العربية بالحروف اللاتينية ؟

إن مثل هذه الدعوة هى إهدار لخصائص اللغة العربية ؛ لغة القرآن الكريم ولغة أمة العرب ، ويقوم بها - كما قلت - هؤلاء المستغربون الذين ينظرون إلى حضارة الغرب على أنها حضارة الإنقاذ من التخلف ! وينسون أو يتناسون أن الحضارة الغربية بكل ما وصلت إليه تطلب الآن الإنقاذ الروحى لنفسها .

هؤلاء المستغربون قد يفوق خطرهم خطر المستشرقين ، فالمستشرق هو أجنبى عنا ننظر إليه بشكوك ، ومحاولة معرفة أبعاد ما تحمله آراؤه ونتحصن ضدها ونهزمها ، أما المستغرب فهو إنسان عربى ذاب فى ثقافة الغرب ، ولأنه عربى ومسلم ، فنحن نأنس له ونستقبل آراءه من دون مناقشة محملة بالشك .

ولذلك لابد لنا أن نتعامل مع هؤلاء المستغربين ، لا أقول بالرفض الكامل ولكن بالمناقشة الجادة التى نحفظ بها روح ثقافة الإسلام ، وبدون أن نهدر أصولنا فى الذوبان فى حضارة الغرب .

إن الإسلام قد دخل بلادًا كثيرة واتسعت آفاق المسلمين ، لكل آفاق العلوم والفنون ، وهضمت ثقافة الإسلام كل تلك الحضارات التى دخلت إليها ، ولم يسمح الإسلام لأحد أن يذيبه فى بوتقته ، ولذلك فالحفاظ على لغة القرآن مسئولية كل مسلم ، ومسئولية كل مثقف عربى يريد لأمته الخير ولدينه الرفعة .

obeikandl.com